مجلة

اللسانيات و تحليل الخطاب

مجلة علمية محكمة تصدر كل أربعة أشهر

بني ملال - المملكة المغربية

العدد
2

شتنبر 2015 / ذوالقعدة 1436

مجلة اللسانيات وتحليل الخطاب

مجلة علمية محكمة تصدر كل أربعة أشهر
بني ملال، المملكة المغربية

الهيئة الإدارية

المدير المسؤول :
د. محمد إسماعيلي علوي

نائب المدير :
د. الحبيب مغراوي

رئيس التحرير :
د. مولاي علي سليماني

نائب رئيس التحرير
د. يوسف ادروا

العدد الثاني - شتنبر 2015 - ذو القعدة 1436

نشأة الفكر اللغوي العربي في العصر الحديث

د. ناظم عودة
جامعة دلارنا، السويد

-1-

الدراسة العقلية للغة

أخضع اللغويون العرب في العصر الحديث العديدَ من الظواهر النحوية للدراسة العقلية، كنظرية (العامل النحوي) التي قدّم فيها الدكتور إبراهيم مصطفى بحثاً في كتابه : **إحياء النحو**، الذي نشره في سنة 1937. وهنا يجب أنْ نتحدث عن أصول هذه المسألة لدى بعض المستشرقين الذين أعادوا طرح الفكرة التي تعود في أصلها إلى ابن مضاء القرطبي (592 هـ) ونحن نرجّح بالاستناد إلى أدلة عقلية أنّ إبراهيم مصطفى قد اطّلع على كتاب ابن مضاء القرطبي وهو مخطوطة في المكتبة التيمورية في زمن كان فيه الرجوع إلى المخطوطات أمراً لا يزال قائماً. وحجتنا في ذلك هي أنّ جوهر ما طرحه ابن مضاء يصل إلى حدّ التطابق أحياناً ولاسيما في الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل وباب التنازع والاشتغال وجعل مقصد الكتاب هو تيسير النحو وتخليصه من العلل والأقيسة.

إنّ فكرة (الإعراب) في النحو العربي، كان قد طرقها ابن مضاء في كتابه : **الردّ على النحاة**. وقد تناول عدد من المستشرقين هذه النظرية وذهب نفر منهم إلى أنّ الإعراب من وضع النحويين العرب، بمعنى هو اجتهاد وتأويل متأثر بالمنطق والفلسفة اليونانيين. ففي منتصف القرن السابع عشر، أعيد طرح هذه الفكرة مجدداً من قبل المستشرق الإيطالي أنطونيوس الأكولاني في كتابه : **مبادئ اللغة العربية بطريقة منهجية جديدة**، والكتاب مزوّد بتعليقات وملاحق وشروح للمذاهب النحوية عند العرب ولا أستبعد اطلاع هذا المستشرق على كتب النحو الأندلسية ومنها كتاب ابن مضاء القرطبي لما عُرِفَ عن الثقافة الإيطالية اهتمامها بالتراث العربي والإسلامي في الأندلس كتأثر بترارك في سونيتاته بالموشّح الأندلسي، وتأثر دانتي في الكوميديا

الإلهية برسالة التوابع والزوابع لابن شُهيد ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري إذ استعار دانتي الإطار الفني للرحلة إلى ما وراء العالم المنظور[1].

وكان كتاب أنطونيوس من الكتب المميزة في ذلك القرن وقد استند ميكائيلس إلى هذا الكتاب في زعمه أنّ : «الإعراب هو من اختراع النحويين»[2]. وكان ابن مضاء المتأثر بالبيئة الأندلسية وميلها إلى التيسير واعتناقه المذهب الظاهري، الذي أسسه أبو سليمان داود علي بن خلف (ت 270هـ)، وهو مذهب يقوم على محاربة الغلو في التأويلات الفلسفية والحدسية للنص القرآني، ويدعو إلى الأخذ بظاهر الكتاب والسنّة، وإلغاء الرأي والقياس. وحاول ابن مضاء تطبيق ذلك على النحو العربي فدعا إلى إلغاء نظرية العامل وإلغاء باب التنازع وإلغاء التعليل والقياس، لأنّه وجد أنّ هذه المسائل من آثار علم الكلام والمنطق والفلسفة.

إنّ كتاب ابن مضاء القرطبي يعدّ أهم كتاب نقدي لمنهج النحاة العرب القدامى في استنباط الأحكام النحوية من خلال نقده للعلل والأقيسة ودعوته إلى إلغاء نظرية العامل وتعطيلها، قال : «قصدي في هذا الكتاب أنْ أحذف من النحو ما يستغني عنه، وأنبّه على ما أجمعوا على الخطأ فيه»[3] وهو لا يجتهد بغير حجة، ولعلّ هذا من تأثير عمله فقيهاً وقاضياً ظاهرياً، ولذلك فهو قد احتجّ بقول ابن جني (ت 392هـ) في كتابه الخصائص في أثناء حديثه عن العوامل اللفظية والعوامل المعنوية، إذ قال : «وأما في الحقيقة ومحصول الحديث، فالعمل من الرفع والنصب والجرّ والجزم، إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره»[4]. فيعتمد عليه ابن مضاء بقوله : «فأكد المتكلم بنفسه ليرفع الاحتمال، ثم زاد تأكيداً بقوله : لا لشيء غيره. وهذا قول المعتزلة. وأما مذهب أهل الحق فإنّ هذه الأصوات إنما هي من فعل الله تعالى، وإنما تنسب إلى الإنسان، كما ينسب إليه سائر أفعاله الاختيارية»[5]. ثم اعترض ابن مضاء على ما سمي عند النحاة القدامى : تقدير العوامل المحذوفة، ويذكر أمثلة تقدّم إقناعاً عقلياً على تمحّل النحاة في التعليل، وهو يرى أنّ إجماع النحويين على القول بالعوامل ليس بحجة، قال : «إجماع النحويين ليس بحجة على من خالفهم، وقد قال كبير من حذّاقهم ومقدّم في الصناعة من مقدّميهم، وهو أبو الفتح بن جني في خصائصه : إعلم أنّ إجماع أهل البلدين (يعني البصرة والكوفة) إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده أنْ لا يخالف المنصوص والمقيسَ على المنصوص، فإذا لم يعطِ يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه»[6]. واضح أنّ ابن مضاء يحتجّ بابن جني في أكثر من موضع من كتابه، ويدلّ ذلك على

(1) ينظر : تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 308.
(2) موسوعة المستشرقين، ص 36.
(3) الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، تحقيق : شوقي ضيف، دار المعارف، ط 2، القاهرة، 1982، ص 76.
(4) المصدر نفسه، ص 77.
(5) المصدر نفسه، ص 77.
(6) المصدر نفسه، ص 82.

وجود جذور لنقد المنهج القياسي في النحو العربي. ويمضي ابن مضاء في نقد (تقديرات المحذوف) في النحو وتأويلها على نحو ما وجد فيه من تكلفٍ وتجافٍ عن الكلام العربي، وهو يدعو إلى إلغاء العلل الثواني والثوالث وإلغاء القياس وإلغاء التنازع والاشتغال والعديد من المسائل النحوية المتأثرة بالقياس المنطقي والتفسيرات الفلسفية، ثم ينتهي في دعوته إلى تصنيف جديد للنحو العربي خلوٍ من نظرية العامل والتأويل والتقدير في الصيغ والعبارات.

– 2 –

أصول نظرية إبراهيم مصطفى

لقد اهتم اللغويون العرب في العصر الحديث بموضوع الإعراب وموضوع العامل النحوي، إذ افترض النحاة العرب القدامى أنّ لكلّ مؤثّر أثراً إعرابياً، أو كما يقولون : «الإعراب أثر يجليه العامل»[7]. وهذه قاعدة منطقية بالأصل، ومن تأثيرات علم الكلام على النحو العربي. وكانت المدرسة البصرية، كما أسلفنا، قد تأثرتْ بعلم الكلام والمنطق الأرسطي في اعتماد القياس في استنباط الأحكام النحوية بخلاف المدرسة الكوفية التي اعتمدت السماع بعيداً عن مؤثرات المنطق وعلم الكلام.

ونتيجة لاهتمام المستشرقين بالتراث العربي وتحقيقهم لمخطوطاته، تعلّم العرب علم التحقيق وأصوله، فراحوا يحققون أمهات كتب التراث في اللغة والفلسفة والأدب والبلاغة والنقد والتاريخ والعلوم وسوى ذلك. فوجد اللغويون العرب في العصر الحديث أنهم بإزاء كنوز من الفكر اللغوي القديم الذي شغل المستشرقين لعدة قرون بحثاً وتنقيباً وفهرسة، مما حفّز هؤلاء اللغويين على التفكير العقلي في موضوعات اللغة ومسائلها واتجاهاتها. وعلى ذلك، بحثَ الدكتور إبراهيم مصطفى في كتابه : **إحياء النحو**، الذي كتبه في سنة 1936 ونشره في سنة 1937، نظرية العامل النحوي في محاولة للتفكير في مسألة الإعراب والسعي إلى تقديم اقتراحات علمية لتخليص النحو العربي من أثر القياس المنطقي بغية إصلاح الدرس النحوي بمقتضى تطور الدراسات اللغوية الحديثة وتطور مناهج الدرس اللغوي. وسبقَ أنْ أشرنا إلى أنّ بحثَ مسألة الإعراب في النحو العربي وإثارتها ثانية في العصر الحديث –وهي مسألة غريبة على نحو اللغات الأوروبية وقد سلّطَ المستشرقون الضوء عليها في وقت مبكر (القرن السابع عشر)– كان إبراهيم مصطفى قد قرأ عنها في بحوث المستشرقين، وأشار إلى بعض أفكارهم في أصل الإعراب كآراء وليم ريت وآراء بروكلمان في أصل لواحق الإعراب. وعلى الرغم من أنه اقتصر على ذكر آراء هذين المستشرقَيْن ولم يبحث في جذور المسألة لدى المستشرقين الآخرين، إلا أنه التقط الفكرة

(7) إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، ط 2، القاهرة، 1992، ص 22.

منهم وشرع بتطويرها من خلال دراستها في مصادرها العربية الأصلية. وكنّا قد أشرنا إلى أنّ أنطونيوس وميكائيلس قد قالا بأنّ الإعراب هو من صنع النحاة العرب، ولا نستبعد أنهما قد اطلعا على كتاب ابن مضاء القرطبي : **الرد على النحاة**، فالتراث العربي في الأندلس خضع لعناية المستشرقين والدارسين الأوروبيين ترجمة وتحقيقا ودراسة.

إنّ دراسة المستشرقين للغات السامية دراسة مقارنة كشفت للغويين العرب المحدثين العديد من الأفكار الجديدة التي تقتضي التوسع والتأصيل، ومنها مسألة الإعراب.

لقد خاض إبراهيم مصطفى في واحدة من المسائل التي تعتبر عصب النحو العربي، فإذا هو يردُّ، على حد تعبير طه حسين : قصور النحو وتقصيره إلى علته الطبيعية، وهي أنّ النحويين قد فلسفوا النحو، فقصروا به عن أنْ يذوي جمال العربية، ويصوّر ذوقها كما ينبغي أن يصوّر»[8]، ونحن نفترض أنّ إبراهيم مصطفى قد اطّلع على كتاب ابن مضاء، وهو مخطوطة في المكتبة التيمورية في ثلاثينيات القرن العشرين، إذ كان استعمال المخطوطات من الأمور المألوفة، لأنّ ما عرضه في (**إحياء النحو**) إنما هو جوهر ما طرحه ابن مضاء؛ يصل إلى حدّ التطابق أحياناً ولاسيما في الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل وباب التنازع والاشتغال وجَعْل مقصد الكتاب تيسير النحو وتخليصه من العلل والأقيسة العقلية.

حدّد إبراهيم مصطفى هدفه وغايته من هذا الكتاب بقوله : «أطمعُ أنْ أغيّر منهج البحث النحوي للغة العربية، وأنْ أرفع عن المتعلمين إصْرَ هذا النحو، وأبدلهم منه أصولاً سهلة يسيرة، تقربهم من العربية وتهديهم إلى حظّ من الفقه بأساليبها»[9]. وكان جوهر أطروحته هو أنّ علامات الإعراب قَلّ أنْ «ترى لاختلافها أثراً في تصوير المعنى، وقلّ أنْ يشعرنا النحاة بفرق بين أنْ تنصب أو ترفع، ولو أنه تبع هذا التبديل في الإعراب تبديل في المعنى، لكان ذلك هو الحكم بين النحاة فيما اختلفوا فيه، ولكان هو الهادي للمتكلم أنْ يتبع في كلامه وجهاً من الإعراب. فلو أنّ حركات الإعراب كانتْ دوالا على شيء في الكلام، وكان لها أثر في تصوير المعنى، يحسّه المتكلم ويدرك ما فيه من الإشارة ومن وجه الدلالة، لما كان الإعراب موضع هذا الخلاف بين النحاة، ولا كان تعلّمه بهذه المكانة من الصعوبة وزواله بتلك المنزلة من السرعة»[10]. ومن المؤسف أنّ إبراهيم مصطفى لم يشر إلى كتاب ابن مضاء القرطبي، ولو أنه أشار لوجد فيه سنداً مهماً لما طرحه من أفكار جديدة.

(8) المصدر نفسه، مقدمة طه حسين.

(9) المصدر نفسه، مقدمة المؤلف.

(10) المصدر نفسه، مقدمة المؤلف.

– 3 –

نشأة علم اللغة المقارن في الجامعة المصرية

قدّم المستشرقون خدمة جليلة للغويين العرب المحدثين من خلال جهودهم المميزة في مجال علم اللغة المقارن ولاسيما في ميدان اللغات السامية ودراستها دراسة مقارنة في قواعدها النحوية وأصول كلماتها في المعاجم ودلالاتها المشتركة.

وكان تأثير هذه الدراسات قوياً على اللغويين العرب المحدثين لأنّ أهم هذه الدراسات المقارنة قد أنجزتْ في نطاق الجامعة المصرية التي كان يعمل فيها بعض المستشرقين من أمثال إسرائيل ولفنسون صاحب الكتاب المهم : **تاريخ اللغات السامية**، وجويدي الذي ألقى محاضرات غاية في الأهمية حول اللغات السامية في أصواتها وكلماتها وقواعدها. ولم يقتصر الأمر على هؤلاء، بل تعداه إلى جهود بعض المستشرقين المعروفين بجهودهم المميزة في دراسة اللغة العربية وآدابها من أمثال كارل بروكلمان الذي نشر ما بين سني (1907-1913) كتاباً بمجلدين بعنوان (**النحو المقارن للغات السامية**) وله أيضاً كتاب بعنوان (**علم اللغات السامية**) صدر في 1916، ورأى فيه أنّ الغاية الأساسية من المقارنة بين اللغات السامية هي إيضاح قوانين تطور كل لغة ؛ لأنّ قوانين تطورها متشابهة، كما أنّ اللغة الواحدة لم تعش في عزلة تامة واستقلال عن اللغات المجاورة أو التي اتصلت شعوبها بعضها ببعض[11]. وكذلك دراسات ياكوب بارت الذي أنجز عدّة مؤلفات في مجال الدراسات اللغوية السامية أبرزها :

1- **تكوين الأسماء في اللغات السامية**، 1894.

2- **تكوين الضمائر في اللغات السامية**، 1918.

3- **دراسات اشتقاقية من أجل معجم سامي**، 1902[12].

وينبغي أن نشير هنا، إلى أنّ دراسة اللغات السامية لم تكن وليدة القرن الثامن عشر أو التاسع عشر وإنما تعود إلى القرن الخامس عشر، غير أنّ القرن التاسع عشر ازدهرت فيه الدراسات اللغوية المقارنة ويرجع سبب ذلك إلى الجهود الجليلة التي قام بها المستشرقون في مجال دراسة اللغات الشرقية عموماً وتحقيق مخطوطاتها والعناية بتراثها ونصوصها وإنشاء الأقسام الخاصة في الجامعات الأوروبية لتدريسها. ومن هنا، كانت اللغات السامية المقارنة في القرنين الثامن والتاسع عشر هي خلاصة ثمرة بحوث اللغويين الأوروبيين منذ عدّة قرون منصرمة. ومن خلال هذه الدراسات المقارنة، أعادوا إحياء البحث اللغوي عند العرب، فوجد اللغويون العرب المحدثون

(11) ينظر : موسوعة المستشرقين، ص 62، 63.

(12) المصدر نفسه، ص 40.

أنفسهم أمام تراث لغوي واسع ومتشعب في موضوعاته وأفكاره ومذاهبه ومؤلفاته وأعلامه، وأمام دراسات لغوية حديثة قام بها عدد من المستشرقين، أضف إلى ذلك، بعض الترجمات اللغوية الحديثة وما تضمنته من نظريات ومناهج حديثة لدراسة اللغة، وكان هذا الثالوث العلمي هو المفصل الأساسي لإحياء الفكر اللغوي الحديث عند العرب.

ومن جهة أخرى، قام المستشرقون ببحوث فيلولوجية لم تكن غايتها دراسة اللغة في ذاتها، وإنما دراستها للكشف عن الدلالات التاريخية والفكرية والروحية للنصوص عبر شرحها وتفسيرها من خلال اللغة. ومع ذلك، فإنّ هذه الجهود قدمتْ إضاءات مهمة للبحث اللغوي الحديث عند العرب.

- 4 -

علم اللهجات العربية القديمة

ولعلّ الأهمّ من ذلك كله، هو ما قام به المستشرقون في ميدان دراسة اللهجات العربية القديمة، فقد ألقى أغناطيوس جويدي في عامَيْ 1908-1909 محاضرات في الجامعة المصرية، ونشرت في القاهرة 1930 وقامتْ هذه الدراسات على معرفة (النقوش) التي يعود تاريخها إلى سنة 200 قبل الميلاد تقريباً. اهتمّ جويدي في هذه المحاضرات بدراسة اللهجات العربية الجنوبية كالمعينية والسبئية والقتبانية والأوْسانية والحضرمية وغيرها، وفي سنة 1926 كان قد نشر بحثاً حول **نحو لغات جنوب الجزيرة العربية**[13]. وبعد عشرين سنة من ذلك التاريخ، نشر المستشرق الألماني الكبير يوهان فك كتابه المهم : **العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب**، نقله إلى العربية الدكتور عبدالحليم النجّار في سنة 1951 ونقله إلى الفرنسية نيزو مع مدخل مهم لكايتينو، ونشر في باريس في سنة 1955. وهذا الكتاب هو دائرة معارف لغوية واسعة على حدّ تعبير مترجم الكتاب في الثمانينيات الدكتور رمضان عبدالتواب[14]، وقد درس فيه مؤلفه بداية نشأة علوم اللغة العربية حتى عصر محمد علي باشا، فلم يدع شاردة أو واردة تتعلق باللغة العربية ولهجاتها إلا وقد درسها. وفي بداية الثمانينيات، نشر المستشرق الألماني فولف ديتريش فيشر مجموعة دراسات لعدد من المستشرقين حول اللغة العربية، نشرت في فترات مختلفة كدراسة فالتر ف. مولر (ماربورج) حول : الثمودية واللحيانية والصفوية (الصفتية) والحساتية (الحسائية).

(13) المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة، أغناطيوس غويدي، منشورات كلية الآداب بالجامعة المصرية، القاهرة، 1930، ص 1.

(14) ينظر : العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة : الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط 1، القاهرة، 1980، مقدمة المترجم.

قد أنجز هذا النوع من الدراسة اللغوية توصيفاً دقيقاً للهجات العربية القديمة بوصفها أصلاً من أصول اللغة العربية التي يرجع تاريخها بحسب تحديد الجاحظ إلى قرن ونصف أو قرنين. وقد اتخذ اللغويون العرب المعاصرون المعلومات المهمة التي توصل إليها المستشرقون استناداً على ما اكتشفوه من نقوش وحفريات، في دراساتهم الجديدة عن اللغة العربية ولهجاتها وقواعدها ونظام أصواتها ودلالات كلماتها.

– 5 –

نشأة علم المعجم العربي الحديث

كان من جهود المستشرقين لدراسة اللغة العربية أن اتجهوا بداية لوضع المعجمات العربية/الأوروبية. فقد وقف المستشرقون منبهرين من العمل المعجمي العربي وما ضمّه التراث العربي بين دفتيه من معاجم لغوية، وكشف ذلك عن حركة معجمية امتازت بدقة الأخذ اللغوي والاشتقاق ووضوح العبارة وغزارة المواد وكثرة الشواهد اللغوية من شعر ونثر، كما امتازت بتنوع مناهج العمل المعجمي، وأهميتها من الناحية التاريخية، فقد ضمّ التراث العربي العديد من المعاجم التي سبق العرب غيرهم بوضع هذه المعاجم الغنية بالمواد اللغوية. وكشف القرن التاسع عشر عن حاجة الثقافة العربية إلى معاجم جديدة تستوعب المفردات الجديدة والاصطلاحات الحديثة، تُكتَبُ بلغة عصرية تعين المتعلّم والباحث على فهم أفضل للمفردات والاصطلاحات. وقد اعتنى المستشرقون بالمعجم العربي منذ وقت بعيد يصل إلى القرن السادس عشر الميلادي، ففي سنة 1505 أنجز المستشرق الإسباني بيدرو القلعاوي أول قاموس : لغة أوروبية – عربي. ففي سنة 1499 كُلّف بالإشراف على القاموس الإسباني / العربي، وصدر في سنة 1505، واستعان بعدد من «العلماء المسلمين ـ أو على حد تعبيره : (الفقهاء العلماء المحترمين) ـ من يتقنون اللهجة العربية في غرناطة، فتمّ العمل في عام 1501، وظهر مطبوعاً في عام 1505 في غرناط»[15]. وقد كتبت الكلمات العربية «بحروف لاتينية، لأنّ المطبعة لم يكن لديها إلا حروف قوطية»[16].

لكنّ يوهان فك يعتقد أنّ أقدم معجم عربي لاتيني وُضِعَ في القرن الثاني عشر الميلادي وضعه «أحد كبار الرهبان الذي أراد أنْ يكون عوناً في عملية التبشير»[17]. وقد استعان هذا الراهب بأحد المستعربين الإسبان الذي لقن لغة وحضارة المسلمين وكان يتحدث العربية الفصحى بطلاقة، لكن هذا المعجم كان يتضمن أخطاء كثيرة نتيجة لعدم تمكن الشخص

(15) موسوعة المستشرقين، ص 49.

(16) المصدر نفسه، ص 49.

(17) العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ص 21.

المستعرب من اللغة اللاتينية فالتزم الترجمة الحرفية من قاموس لاتيني آخر، مما أوقعه في العديد من الأخطاء. وظلّ هذا المعجم مجهول المؤلف، لكن المؤكد أنه كتب في ظل النشاط التبشيري في رعاية الدولة الإسبانية المسيحية. وقد ذكر يوهان الأخطاء الشنيعة التي وقع فيها واضع هذا المعجم[18].

وفي القرن الثالث عشر، وُضِعَ معجم ثانٍ مجهول المؤلف أيضاً، قام بنشره (شيبا ريللي) في سنة 1881، وقد وُضِعَ هذا المعجم في ظل النشاط التبشيري أيضاً، مما يضعنا أمام معضلة وهي أنّ هذا النشاط اللغوي لم يُقَم به من أجل إنجاز عمل معجمي خالص ؛ ومن هنا وقعت الأخطاء وكثرت الهفوات في هذا العمل الذي وُضِعَ لغرض تبشيري إيديولوجي لا لغرض لغوي صرف.

وقد وَضَعَ الراهب الفرنسي بيلو معجماً فرنسياً عربياً، حيث جاء هذا الراهب إلى بيروت وأمضى عدة سنوات اشتغل فيها مدرساً للاهوت الأخلاقي، وتولى إدارة المطبعة الكاثوليكية التابعة لليسوعيين في بيروت[19]. ولا شك في أنّ المعلم بطرس البستاني قد تعرّف على الراهب وعلى معجمه، ولا شك في أنّ هذا الراهب قد اغتنى بثروة لغوية اكتسبها من خلال وجوده في بيروت وإطلاعه على المعاجم العربية. ولابدّ أنّ البستاني قد اطّلع على هذا المعجم، فقد أشار إلى أنه أفاد من بعض المعجمات الفرنسية والانكليزية، وفي ذلك الوقت الذي يندر فيه تداول الكتب الأجنبية، فمن المؤكد أنّ وجود هذا الراهب في بيروت وفّر للبستاني فرصة الاطّلاع على معجمه الذي يضمّ مفردات جديدة واصطلاحات حديثة. وفي نهايات القرن التاسع عشر (1865) وضع بروكلمان معجماً للغة السريانية وهو معجم أكثر تحديثاً وتطوراً من المعجم السرياني الذي صنّفه كستلّوس Castellus في سنة 1788 وكذلك معجم (**كنز اللغة السريانية**) الذي صنفه بيغن سميث R. Pagn Smith في 1868 الذي كان حافلاً بالكثير من المواد، وقد وضع بروكلمان معجمه الأنف ليكون معجماً حديثاً للغة السريانية وقد استقرأ بروكلمان جميع النصوص السريانية فزوّد معجمه بالكثير من الشواهد. ولا شكّ في أنّ هذا المعجم الغني بموادِه القديمة والحديثة والمؤلَّف من مستشرق معروف لدى السريان اللبنانيين كان له تأثير في تحديث المعاجم العربية التي صدرت في لبنان في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وهي معاجم حرصت على إدخال الكثير من الاصطلاحات العلمية والأدبية والفكرية ضمن مواد المعجم.

---

(18) تنظر هذه الأخطاء بترجمة عبدالرحمن بدوي في موسوعة المستشرقي، ص 386، 387. وفي كتاب يوهان فك تاريخ حركة الاستشراق، ص 21، 22، 23.

(19) ينظر : موسوعة المستشرقين، ص 94.

وقد استمرّت جهود المستشرقين في مجال المعجمات والبحث اللغوي، وقد أفاد المعلّم بطرس البستاني من المعجمات الأجنبية الأساسية في اللغتين الفرنسية والانكليزية على وجه الخصوص لإدخال الكلمات العصرية والاصطلاحات الحديثة التي أضافها على مواده اللغوية التي اعتمد فيها على المعاجم العربية القديمة.

ووضعت بعد ذلك المعاجم العربية الحديثة التي أخذت تعنى بشرح المفردات الجديدة والاصطلاحات الحديثة كالمعجم الوسيط والمعجم الوجيز والمنجد والرائد وغير ذلك من المعاجم التي وضعت في العصر الحديث.